البنيات النصية وتشكل الموقف الشعري في قصيدة " تحية العام الهجري " لعبد الكريم العقون

Textual Structures and the Formation of the Poetic Stance in Abdul Karim Al-Agoun's 'Tahiat Al'aam Al Hijri'

د/قرفي السعيد [1,*]،

[1] جامعة الوادي، (الجزائر)، saidguerfi039@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2024/10/01 **تاريخ المراجعة**: 2024/12/02 **تاريخ النشر**: 2024/12/22

الملخص:

يتلخص موضوع المقال في الوقوف على البنيات النصية وإبراز دورها في تشكل الموقف الشعري في قصيدة " تحية العام الهجري " ، وقد تعددت هذه البنيات وتنوعت ويوحي ذلك بحرص الشاعر عبد الكريم على أن يمنح موقفه الشعري قوة الحجة والبيان ، خصوصا وأن الأمة العربية تعيش مرحلة تاريخية صعبة من حياتها تمثلت في حياة الذل والانكسار بسبب الاستعمار ، إنه الموقف الذي يرسم مسار الأمة في سبيل التحرر واستعادة مجدها وعزها .

الكلمات المفتاحية: الموقف الشعري ، البنية النصية ، الرؤية الشعرية ، حدث الهجرة ، النبي محمد

Abstract:

This paper aims to examine the textual structures and highlight their role in shaping the poetic stance in the poem "Tahiat Al'aam Al Hijri". These structures are varied and diverse, suggesting the poet Abdul Karim's keenness to endow his poetic stance with the power of argument and eloquence. This is particularly significant given that the Arab nation was experiencing a difficult historical period characterized by humiliation and defeat due to colonialism. This stance outlines the nation's path towards liberation and the restoration of its glory and dignity.

Key words: : *poetic stance, textual structure, poetic vision, the event of Hijrah, Prophet Muhammad PBUH.*

مقدمة:

قصيدة " تحية العام الهجري " للشاعر عبد الكريم العقون تستمد مادتها الشعرية من أحداث الهجرة النبوية ، لتعيد تشكيل تلك الأحداث في بناء الموقف الشعري الذي يرتبط بواقعه الراهن مستعينا ببنيات نصية متنوعة أسهمت متضافرة في تفعيل هذا الموقف عاطفيا وذهنيا وروحيا وجماليا .

*المؤلف المراسل.

1 - موضوع القصيدة : قراءة في الموقف الشعري :

ليس ذكرى أعظم في النفوس من ذكرى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي ذكرى تتعدد مناسباتها بتعدد الأحداث في حياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وذكرى حدث الهجرة من أجل الذكريات التي تطل بأفقها على حياة الناس في ظل واقع مرير من ويلات الاستعمار وذل الانكسار ، يسطع نورها على قلوب متلهفة ومتعطشة فترتوي وتنقع من ذاك النور ، فيدفعهم حثيثا أسوة بحدث الهجرة النبوية الذي انقلبت فيه حياة المسلمين من ذل واستصغار إلى مجد وعز ، وكذلك حال الأمة حديثا ، فتهرع إلى طلب المكارم . وهكذا يرى الشاعر عبد الكريم العقون في حدث الهجرة النبوية شيئا عظيما في حياة الأمة ، إنه حدث يعبر عن حالة التحول المتمثلة في مواجهة كل أشكال الظلم والجهل والضلال ، لتنتهي إلى حالة العز والمجد وبلوغ المكارم ، وتلك حالة تنطبق على واقع الأمة العربية التي تعيش حقبا تحت وطأة الذل والانكسار استعمارا أو تبعية . وإذ أن الموقف الشعري يتشكل في ظل حدث جلل في تاريخ الأمة العربية ، يتوسل الشاعر شعره ألا يخذله في استلهام دلالات هذا الحدث ليستجيب لتطلعات شعبه خصوصا وأن هذا الحدث يتصل بذكرى الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - وفي مثل هذه الذكرى يأتي الشعر طيعا وطبعا وسمحا .

انطلق لسان الشاعر شعرا طبعا طيعا في استرجاع أحداث الهجرة المحمدية من لحظات التآمر على النبي والاتفاق على قتله إلى عودتهم خائبين يتجرعون مرارة الخيبة كمدا وغيظا ، لأنهم لم ينالوا منه شيئا بل نالهم من الله طمس وكانت فضيحتهم في القبائل أشنع وأهلكهم الله بمكرهم وكيدهم .وتلك لحظة الانتصار الأولى ثم تتوالى انتصارات هذه الدعوة وبالمقابل تمنى دعوات الباطل بالخيبات والانكسارات .

ويتوقف الشاعر عند الغار ، وهو مكان احتضن أول أحداث الهجرة ، وجاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذَ اَخْرَجَهُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (التوبة40) ، وقد استلهم الشاعر هذه المعاني القرآنية التي تبعث على الاطمئنان والسكينة، فكان الغار على وحشته هو الأوسع والأرحب في ظل مطاردة قريش لهما ، وكان الغار هو أحد الجنود التي سخرها الله لحمايتهما من بطش ومكر أعدائهما، ويبعث فيهما الطمأنينة من بعد فزع يروع نفس من ليس يفزع .

ويتحول الغار في تاريخ الهجرة المحمدية إل علامة فارقة في تاريخ الدعوة الإسلامية لأن هذا المكان احتضن هذه الدعوة بعد أن رفضتها مكة ، لتتحول مكة إلى دار بغي وتتحول على أهلها تعسا وسوءا خلا منها الحق وطغى فيها الشرك ، والغار هو المكان الذي انطلق منه محمد - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه يدفعهم الشوق للقيا الأصحاب ، والأصحاب هم في شوق منذ أن ودعوه .

وتنتقل الدعوة من مكان حماها إلى بلد نصرة لتبدأ حياة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية تكتسب بالمكان الجديد عزة ومجدا ويكتسب بها هذا المكان قدرا ويجمع إليه الخير والمجد معا .

إن الشاعر عبد الكريم ، استطاع من خلال الكلمة الشعرية أن يحول من دلالات حدث الهجرة إلى دلالات يتشكل منها الموقف الشعري ترتسم فيه حياة الأفراد وحياة الأمة من مجد وكرامة ، من بعد رهق ونصب أصابها من ذل وهزيمة ، وتأتي وقفة التحية والإجلال لذكرى هذا الحدث الجلل في تاريخ الأمة تعبيرا صادقا عن ذلك الموقف الشعري في رؤيته التجديدية والنهضوية سواء في حياة الأمة أو في حياة أفرادها .ولذلك لم يكن المديح في القصيدة يحتل مكانا صريحا ، بل إنه يتفاعل والموقف الشعري الذي يعبر عنه الشاعر وهو الموقف المشيد بكفاءة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في قيادة التحول في حياة البشرية وفي المبادئ والقيم التي ستعتنقها ، وقد برز ذلك في قيام المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية التي ستنهض بقيادة هذا النبي - صلى الله عليه وسلم - بنشر تلك القيم والمبادئ في حياة الناس جهادا ودعوة ، و" يقدرلها أن تغير مسار البشرية ، كل ذلك في عشر سنوات فحسب ، وهي حقيقة لا تكاد أن تعد في تواريخ الأمم " (1) .

2- البنيات النصية وأثرها في تشكيل الموقف الشعري :

وقد أسهم في إنتاج هذا الموقف الشعري ما ضمنه الشاعر في قصيدته من بنيات نصية ، وقد زادت في فاعليته الشعرية بتعزيز الرؤية الشعرية التي يريد الشاعر أن يبلغها المتلقي من خلال تفاعله مع حدث الهجرة النبوية ودلالاته في تغيير مسار الأمة إلى الحياة الأفضل ، وهو ما تمناه الشاعر أن يحققه هذا الحدث في ذكراه من استعادة الأمة لعزها وهي قد وضعت قدما في السير نحو المكارم هرعا .ومن أهم تلك البنى النصية التي وظفها الشاعر:

أ - بنية الاستهلال :

من عادة قصيدة المديح أن يسبق موضوع القصيدة استهلال يهيئ الدخول إليه ، وهذا الاستهلال إما أن يكون حديثا عن الأطلال وقد يتصل ذلك " بأماكن مقدسة وتوحي بالتعلق الروحي بالإسلام ومعالمه "(2) كذكر الأماكن التي لها صلة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أو يكون حديثا غزليا فيتضمن " مقطعا غزليا استهلاليا بالسنن والشروط التي ذكرها النقاد وأهل الأدب " (3) ، مراعاة لمقتضى مقام الموضوع الذي يتصل بمدح أشرف الخلق كلهم .

ولم يدرج الشاعر في استهلال قصيدته طريق القدماء أو بعض المحدثين ، وإنما استهلها تحية إجلال وإكبار لذكرى حدث الهجرة النبوية ، ويبدو أن الشاعر قد اختار هذا الاستهلال إذ ليس أهدى لهذه الأمة أن تتمثل حياة نبيها من أن تكون على صلة بأوهام خاتلة من صنع غيرها ، وقد آن تتمسك الأمة بما يجب أن تتمسك به ، وأن ينتبه الغافلون منها أن تاريخ هذه الأمة مليئ بالذكريات العظيمة ، وهذه الأمة في حاضرها أهدى من أمثال الأمم التي يلهث أبناؤها وراء الأوهام التي تفرزها سخافات بعض عقولهم .

ب - بنية الالتفات :

بنية الالتفات بنية نصية " تثري النصوص بالدلالات التي تنتجها من خلال تفاعل ضمائرها مع الدلالات النصية " (4) ، وقد أرجع البلاغيون هذه البنية إلى " حالة التصرف بالضمائر مع وحدة مرجعها ، بحيث أصبحت الضمائر هي العلامة المميزة للالتفات " (5) ، مع الاعتداد بأشكال أخرى في هذه البنية فصلها أهل البلاغة .

واستخدام بنية الالتفات في صورة الضمائر تقتضيه الحاجة الدلالية ، والحاجة - هنا- فاعليته التعبيرية على تشكل الموقف الشعري للشاعر وإدراكه لأبعاده المختلفة ، وهو الأمر الذي يدعو إلى الوقوف على هذه البنية النصية في القصيدة . يستوقفنا استخدام بنية الالتفات في صورة الضمير حينما تحدث الشاعر عن أعداء دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد بدأ بالحديث عن مسعاهم في وأد هذه الدعوة في مهدها بتآمرهم على قتل النبي في داره وانتدبوا من كل بطن من قريش فتى قويا علهم ينجحوا في مسعاهم ، لكنه هيهات فالله حارسه ومنجيه .

وقد استخدم الشاعر في سرد هذه الأحداث الضمير الغائب ، وكان في استخدام هذا الضمير حاجة دلالية تتمثل في أنه يضفي على حدث الهجرة ملامح المعاناة والمكابدة الشاقة في سبيل التمسك بأمر هذا الدين الجلل والتضحية في سبيل تمكينه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه حقيقة ثابتة ، وهي أن كل دعوة تجد في طريقها من يعيقها ويمنع انتشارها بين الناس ، ومن شأن أسلوب الغيبة هذا أن يغذي من شعور المتلقي في تفاعله مع حدث الهجرة ، وأن يقف على تضحيات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في سبيل هذه الدعوة ، فيزداد في قلبه احتفاء وإجلالا .

ثم يلتفت الشاعر إلى هؤلاء فيخاطبهم ويسخر من سوء أعمالهم ، وإذ يستخدم الشاعر - هنا - ضمير المخاطب ليكون على خط المواجهة المباشرة ، فيفضحهم ويفضح غيظهم ومكرهم وحسرتهم ، وفي الحقيقة أن هذا التحول من الغيبة إلى الخطاب في صيغة الجمع يتجاوز هذه الفئة الباغية التي أرادت أن تكيد للدعوة المحمدية في مهدها ، إلى كل الفئات في كل الأزمان التي تسعى حثيثا أن تكيد لهذه الدعوة ، وذلك يمنح الموقف الشعري دلالة امتدادية أفقية ، يتجدد مع كل لحظة تبرز فيها الفئة الباغية التي تريد أن تطفئ فيها جذوة هذا الدين ، وهو ما عبر عنه الشاعر في قوله (بيت 13) :

مكرتم ومكر الله أودى بمكركم ومن كاد دين الله لا شك يقمع

وجاء استخدام ضمير الغائب أيضا طريقا آخر لسرد أحداث الهجرة ، ولكنه في هذه المرة تتغير معطيات الأحداث ، لكن المؤامرة لا تتوقف ، ولكن الشاعر ينتقل بالسرد من حكاية التآمر على القتل والقضاء على الدعوة في مهدها ، إلى حكاية التضحيات ورباطة الجأش وتحمل المشاق في سبيل هذه الدعوة .

و لما حضر مقام تعداد الفضائل والمناقب وذكر المكانة ، تحول الشاعر إلى ضمير المخاطب ولا شك أن الإشادة التي يواجه فيها المادح ممدوحه هي أدعى لتلك الحاجة الملحة من المادح في الوصال بممدوحه ، بل إن قلب المادح والمحب لا يقوى على تحمل تلك المشاعر إن لم تصل لممدوحه مباشرة .

وهكذا بدا الشاعر عبد الكريم منتشيا بانتصار الدعوة المحمدية ، وغير آس على القوم الباغين في خيبتهم ونكستهم وسوء حظهم ، وشديد التأثر باجتماع النبي - صلى الله عليه وسلم - بصحبه الكرام من المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يخل بيت من الأبيات التسعة الأخيرة من القصيدة من ضمير المخاطب الذي يكون مرجعه النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي هذا تعبير صادق من الشاعر على شدة تأثره بشخص النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - والإشادة بأخلاقه التي جمعت الناس من حوله حبا وشوقا وفرحا وإجلالا ، فيرتفع بمقامه - صلى الله عليه وسلم - مقام يثرب ويجمع إليها الخير والمجد أجمع . وكأني بضمير المخاطب في هذه

الأبيات يتحول إلى نوتات إيقاعية تعبر عن اهتزازات المشاعر فرحا وطربا بشخص النبي - صلى الله عليه وسلم - تلك المشاعر التي يحولها الأنصار إلى أفعال في لحظات استقباله وكأنهم جاءوا إلى الحياة من جديد ، وهي كذلك كما عبر عنها الشاعر في قوله (البيت الأخير) :

فأكرم بها دارا بك ازداد قدرها وضم إليها الخير والمجد أعظم

ويزيد في فعالية الموقف الشعري المعبر عنه ، هو ارتباط ضمير المخاطب ببنية التقديم التي لا يكاد يخلو منها بيت من الأبيات التسعة الأخيرة ، وتبدو تلك الفعالية في تعزيز النوتة الإيقاعية ، ليبرز الموقف الشعري أكثر طربا وحفاوة بشخص النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا شك أن تلك حاجة في النفس ملحة ، تجد سبيلها إلى البوح بمثل هذه الاستخدامات الفنية والتركيبية .

ج- بنية الأسلوب الخبري :

واستخدام هذه البنية تؤشر إلى " عناصر الثبات والاستقرار في البناء الأسلوبي لأنها تعبر - غالبا عن الحقائق الثابتة المستقرة ، أو الأحداث التي وقعت وانتهت وأصبحت وقائع يجب التسليم بها ، ويمكن لبنية الأسلوب الخبري أن تكتسب فاعلية التجدد المستمر بمعونة السياق وقرائن الأحوال " (6) .

وقد استخدم الشاعر عبد الكريم هذه البنية ، وقد استغرق حضورها أغلب أبيات القصيدة ، كما غلب عليها الفعل الماضي الذي يؤشر إلى وقوع الأحداث وانتهائها ، لكننا نجد بعض المؤشرات اللغوية التي تحيل على دلالات معينة في تلك الأحداث المنتهية ، من ذلك توظيف الشاعر للمؤشر اللغوي (قد) ، الذي ورد قبل الفعل وهو توكيد الحدث والإمعان فيه وهو مما يبرز حجم العداوة التي كان يكنها الأعداء للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ولدعوته ، ففي قول الشاعر (البيت6) ::

لقد حاول الأعداء إطفاء نوره فخابوا ولم ينجح لهم فيه مطمع

هو تأكيد مسعى الأعداء في كيدهم للنبي ولدعوته يزيده قوة دخول اللام على (قد) ، فلا مجال للتشكيك في عداوة هؤلاء ، بل إن الشاعر يستخدم هذه الأداة في كل سلوك يصدر عنهم تجاه النبي ودعوته وتلك هي الحقيقة الثابتة في كل الأزمان ، وقد صادقت عليها أفعال هؤلاء الناس من محاولات التشويه والتشكيك التي طالت شخصية النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فالحملات الصليبية التي شهدها العالم الإسلامي في أواخر القرن 19 وبدايات القرن 20 ، وكذلك ما عرفه العالم الإسلامي في سنواته الأخيرة من محاولات التشويه والتشكيك في شخص محمد - صلى الله عليه وسلم - ودعوته ، لا يخرج عن ذاك السلوك العدائي الذي تعرضت له الدعوة في بداياتها . ولا غرو إذن أن يهلل الشاعر لإطلالة العام الهجري على الأمة الجزائرية على نحو خاص ، والأمة العربية على نحو عام وهما تعيشان حالة عطش شديد لمثل هذه الذكريات النورانية والتي تتلهف لها الألباب وتتوسل بها نفوس أن ترتوي من نورها ، و هذه الأمة تتأهب أن تنتفض من محنتها وتسير نحو المكارم مهرعة .

ويتناقص توظيف المؤشر اللغوي (قد) حينما تحقق النصر وسلمت الدعوة من كيد أعدائها ، وخابت مساعيهم في النيل منها ، ويقع التحول في تاريخ هذه الدعوة ويبدأ هذا التحول من التعبير على أحوال المشاعر شوقا وطربا بقائد الدعوة واستبشارا بالخير والمجد أجمع ، وليس لتلك المشاعر من تأكيد إلا حرارتها وقوتها .

وثمة لفتة أسلوبية جميلة تحول من بنية الأسلوب الخبري في دلالته على مجرد أحداث وقعت في الماضي وانتهت ، وهو أن الأبيات تنتهي في الأغلب بقافية فعلية ، فعلها مضارع ، والفعل المضارع يحمل دلالة التجدد والاستمرارية ، وهو ما يحيل بنية الأسلوب الخبري إلى بنية فاعلة وحيوية في تشكل الموقف الشعري ، ومثال ذلك قول الشاعر في (البيت13) :

مكرتم ومكر الله أودى بمكركم ومن كاد دين الله لا شك يقمع

وهذه حقيقة الباطل الذي يكيد للحق مهما تبدل الناس وتبدل الزمان ، و لكن سيظل مكر أعداء الحق مدحوضا ، لأنه من كاد لدين الله هم المغلوبون ، وإن جند الله لهم المنصورون ولو بعد حين ، وتلك هي الحقيقة الثابتة في القرآن الكريم تتلى أناء الليل والنهار ، يقول الشاعر معبرا عن هذه الحقيقة (البيت21):

وهدأه من روعه قائلا له : لنا الله يحمينا أذاهم ويمنع

ويختم الشاعر قصيدته بأسلوب تعجب على صيغة (أفعل به) ، المتعجب منه دار يثرب والدافع إليه هو مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها فازداد قدرها وضمت إليها الخير والمجد أجمعه ، وكيف لا يكون لها ذلك وقد أقام بها أكرم الأكرمين ، وطبيعة هذا الأسلوب أنه إنشائي في صيغة غير طلبية ، لكن فاعليته خفية حيث تربط المتلقي بموضوع القصيدة ويعلق في ذهنه ومشاعره " عن طريق إثارة انفعالاته وتشكيلها بما يتوافق مع ما يريده المبدع " (7) . وهذا المراد قد ذكره الشاعر في استهلال القصيدة عندما قال :

أطل هلال العام بالأفق يسطع بنوره الألباب تهفو وتخشع

وجدد ذكرى في النفوس عظيمة تروي نفوسا من صداها وتنقع

فيا عام جدد للعروبة عزها وهاهي سارت للمكارم تهرع

د- بنية التناص :

التناص بنية نصية فاعلة في النص الأدبي تبين على نشاط ثقافي وجمالي في الوقت ذاته ، وخصوصا أن النص الذي ندرسه يتناول حدثا بارزا في تاريخ الدعوة الإسلامية ، وهو حدث الهجرة النبوية ، هذه الهجرة التي رافقتها العناية الإلهية من أول أحداثها إلى نهايتها ، ولذلك لم تخل أحداث الهجرة من بعض المعجزات والكرامات الربانية لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -وقد أشار الشاعر إلى تلك العناية الإلهية التي ذكرتها بعض الآيات القرآنية في عدد من المواضع في قصيدته ، ومن شأن ذلك أن يرفع من قدر هذا النبي ، ويرفع كل شبهة على نبوته وأنه منصور من ربه ، وأن قدر هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار ، وأول تلك الإشارات على انتصار هذا الدين ما جاء في قول الشاعر (البيت6) :

لقد حاول الأعداء إطفاء نوره فخابوا ولم ينجح لهم فيه مطمع

والشاعر في هذا البيت يتناص مع قوله تعالى " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُاْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَابَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ " (التوبة 32) ، وأما قوله في(البيت10) :

لقد خبتم في سعيكم وأصابكم من الله طمس والفضيحة أشنع

فإن الشاعر يتناص مع قوله تعالى " وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدّاً فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " (يس8) ، وفي (البيت13) :

مكرتم ومكر الله أودى بمكركم ومن كاد دين الله لا شك يقمع

وقع التناص مع قوله تعالى " إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَۖ " (الأنفال 30) ، وجاء التناص في (البيت21) مع قوله تعالى " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذَ اَخْرَجَهُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌۗ (التوبة40) .

وهكذا فإن حضور النص القرآني في نص الشاعر إنما يعزز الموقف الشعري الذي يتمثل فيه الشاعر واقع الأمة العربية ، هذا الذي يعبر فيه أفراده عن " رغبة شعبية جارفة في تحقيق القوة والنصر ، والقضاء على الظلم والقهر والشر ، داخليا وخارجيا ، مثلما كانت تجسيدا لرغبة جمعية في الشعور بالحاجة إلى الأمن... ويصبح النبي هذا رمز الأمل الشعبي في الخلاص والتحرر ، بغية إعادة التوازن للذات المقهورة الفردية والجمعية " (7) وأما في البيت الأخير من القصيدة الذي يقول فيه

فأكرم بها دارا بك ازداد قدرها وضم إليها الخير والمجد أجمع

فإنه يتناص مع قول الشاعر حسان بن ثابت :

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع (8)

إنما فيه رغبة من الشاعر عبد الكريم في استرجاع تلك المشاعر المرتبطة بالأمان والاطمئنان بكرم النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وقبل كان القوم متفرقين تعصف بهم الأهواء وتقتلهم العصبية ، ولا شك أن رغبة استرجاع تلك المشاعر إنما تدفعه رغبة استشراف المستقبل الآمن في كنف الهداية المحمدية ، بعد أن اختل فيه توازن الأمة العربية وافتقدت فيه حريتها وسيادتها ، وباتت شديدة الحاجة إلى أنوار الهداية المحمدية لتخرج من حالة الانكسار والذل إلى حياة العزة والمكارم .

هـ- بنية المكان:

برز المكان في القصيدة مكونا مهما في بنيتها الشعرية ، وارتبطت أهميته أنه الفضاء الذي احتضن أحداث الهجرة بكل تفصيلاتها الحية وهو ما يضفي على المكان " قيمة رمزية وأيديولوجية متصلة بتجسيد المكان ، يحيل إلى ضرورة دراسة هذا الجانب واعتباره وجها من وجوه دلالة المكان " (9) ، ومن شأن ذلك أن يمنح المكان دلالة أكثر اتساعا من مجرد كونه مكانا لتأطير الأحداث ، ليكون بذلك واحدا من الأدوات الفاعلة في بنية الموقف الشعري الذي تجسده القصيدة ، يمتزج فيه التاريخي والأيديولوجي والعاطفي .

وقد دارت أحداث الهجرة في أربعة أماكن ، تباينت فيها طبيعة هذه الأحداث ، وكل حدث ارتبط بشخصيات ، ولكن شخصية النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت الشخصية الرئيسية في كل تلك

الأحداث عايشت آلامها وآمالها ، أتراحها وأفراحها ، وأبانت عن كفاءة متميزة في إدارة الأوضاع وترتيبها بتوفيق من العناية الإلهية .وهذه الأماكن هي :

- دار البغي :

هكذا سماها الشاعر ، حيث ربط الاسم بأوصاف أهلها الذين قال عنهم " فأنتم جنود البغي " ونهاية هذا البغي محكوم أمره بالزوال " والبغي يصرع " ، لأن هذه الدار هي مكة وسيعود إليها النبي بعد الفتح ويدخل أهلها في دين الله أفواجا .

ربط الشاعر الأحداث في هذا المكان بأهل البغي ، وارتبطت بمسعى وأد هذه الدعوة في مهدها بقتل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فدبروا أمرهم بليل ، ولكن عناية الله أحبطت مخططاتهم ، وأخزاهم بأفعالهم وأورثهم حسرة في نفوسهم من شدة غيظهم ؛ لأنهم لم ينالوا من رسول الله شيئا ولا من دعوته وهذا هو حال أهل البغي في كل زمان كلما كادوا دين الله قهرهم الله وأذلهم . وبعد هجرة النبي منها ، ينعى الشاعر سوء حال هذه الدار ، إذ يشقى أهلها في براثن الشرك ولذلك دعاها بدار الشرك .

- الغار:

إن ارتباط الغار بحدث الهجرة ، يجعل منه آية من آيات الله لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعجزة من معجزاته ، يتحول بعناية الله إلى مكان آمن من بعد أحداث مفزعة ، في مكان لم يرض فيه أهل البغي إلا إمعانا في بغيهم وشركهم .وكانت المعجزة أن نسجت العنكبوت خيوطها وحمت الحمام جاثمة على بابه ، فصرف الله عن الغار أبصارهم .وهكذا يتحول الغار إلى مكان آمن بعدما كانا طريدين من قوم طغاة ، ويتحول في ارتباطه بحدث الهجرة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية إلى يوم " له عبرته و عزاؤه في كل يوم ولا سيما أيام القلق والحيرة والانتظار " (9) .

وكانت تلك محطة هامة ومقدرة في أحداث الهجرة النبوية ، حيث مكث النبي وصحبه في الغار ثلاث ليال ، ليمثل الغار بذلك المكان الذي ترسم فيه الانطلاقة الجديدة لنشر رسالة روحية جديدة في زمن يبعث على القلق والحيرة " ويبحث يقينا عن عقيدة روحية لأنه يضيق بالحاضر وينظر إلى المستقبل " (10) ، ويكون الغار هو البوابة التي يدخل منها هذا العالم الحائر القلق إلى المستقبل . ولا شك أن هذه الآفاق الجديدة لا تنفتح أمام الإنسان " بغير عظمة روحية يوحيها الإيمان ، وبغير رسالة باطنية تسبق هذه الظواهر التي تهول الأنظار " (11) . وتعزز هذه الدلالات التي ينضح بها المكان الموقف الشعري لدى الشاعر في ظل واقع راهن يميزه القلق والحيرة ، فتنقع من مثل هذه الدلالات النورانية لتكون على أهبة الانطلاق من جديد في سبيل تجديد عزها واستعادة كرامتها ، وهكذا استطاع الشاعر عبد الكريم أن يحول مكان الغار " إلى أداة تعبيرية عن الأبطال من العالم " (12) .

- قباء :

وشكل هذا المكان الخطوة الأولى في تجسيد مبادئ الرسالة التي تحملها الدعوة المحمدية في سبيل إعادة صياغة العالم تجلب له الخير والكرم ، وكانت هذه الخطوة روحية تمثلت في بناء مسجد يربط من خلاله الناس بقيم ومبادئ تلك الرسالة التي ستعدهم لعملية التغيير الشاملة في كون الناس على تباعد أرجائه .

- بلد الأنصار:

وهو المكان الذي انتهت إليه أحداث الهجرة ، وقد ذكر الشاعر هذا المكان بأكثر من اسم ، فأطلق عليه دار هجرة ، ثم يثرب .

و لحظة وصول النبي - صلى الله عليه وسلم - المكان ترتفع الأصوات فرحى ، وتجمع الناس ينشدون النبي محتفين ببدر الهداية الذي يطلع عليهم ، بعد عهد غير قليل من حياة الضلالة والجهل والحيرة والقلق ، وكيف لا يفرح من ليس له رضى عن واقع قبل ذلك ، ثم يتحول إلى واقع آخر يضم إليه الخير والمجد أجمعه .وتلك قيمة في المكان الجديد لا تتحقق إلا بعقيدة في حياة الناس " تفتح باب الحياة الصالحة في الدنيا وباب الحياة الخالدة في الآخرة " (13) .وفي ذلك عظة " لمن يتحفزون للنهوض ومن يبتغون الحركة ويقودون الخطوات المقبلة في عجلة أو أناة " (14) . وتلك الحقيقة النصية التي تجسدها بنية المكان تساهم بدور فاعل في تشكيل الموقف الشعري في القصيدة .

والخلاصة أن الشاعر عبد الكريم استطاع أن يقرأ أحداث الهجرة وأن يوظف ذلك في تشكيل الموقف الشعري الذي يستبطن الواقع الراهن الذي قتل أبناءه الظمأ إلى المبادئ الروحية والإيمانية التي تعزز في دواخلهم عزيمة قوية لتجديد مجد الأمة وعزها ، وقد أبان التشكيل النصي من خلال بنياته النصية عن طرائق تشكله ودلالاته في لغة شعرية غاية السهولة والسلاسة .

الهوامش وإحالات المقال :

(1) محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، مصر، ط1 ، 1991 ، ص1.

(2) يمينة سعودي ، المديح النبوي في الشعر الجزائري القديم - دراسة في المضامين والأشكال - أطروحة دكتوراه ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، 2019-2020 ، ص166 .

(3) أسامة محمد البحيري ، قصيدة المديح النبوي ، دراسة تطبيقية في ديوان النواجي ، ص5 .

(4) فايز عارف القرعان ، في بلاغة الضمير والتكرار، دراسات في النص الشعري العذري ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص5 .

(5) المرجع نفسه ، ص6 .

(6) محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، ص53 .

(7) الحسن الطاهري ، الإبداع الموحدي بين شعرية النص وأدبية المتلقي ، منشورات حلقة الفكر المغربي ، فاس ، ج1 ، دط ، 2005 ، ص92 .

(8) حسان بن ثابت ، الديوان ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبد أ علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1994 ، ص53 .

(9) حميد لحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد العربي ، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص70 .

(10) عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، دت ، ص152 .

(11) المرجع نفسه ، ص148 .

(12) حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، ص70 .

(13) عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، ص153 .

(14) المرجع نفسه ، ص153 ،

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش

أولا : المصادر :

- عبد الكريم العقون ، الديوان ، جمع وترتيب أ : محمد الشريف شايب ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة القديمة ، الجزائر ، دط ، 2015 .

ثانيا : المراجع :

1- أسامة محمد البحيري ، قصيدة المديح النبوي ، دراسة تطبيقية في ديوان النواجي .

2 - حسان بن ثابت ، الديوان ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبد أ علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1994 .

3- الحسن الطاهري ، الإبداع الموحدي بين شعرية النص وأدبية التلقي .

4 - حميد لحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد العربي ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991 .

5- عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، دت .

6- فايز عارف القرعان ، في بلاغة الضمير والتكرار ، دراسات في النص الشعري العذري ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط1 ، 2010 .

7- محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، مصر ، ط1 ، 1991 .

8- يمينة سعودي ، المديح النبوي في الشعر الجزائري القديم - دراسة في المضامين والأشكال - ، أطروحة دكتوراه ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، 2019-2020 .